العُجب
ضحِكُ الخائف خيرٌ من بكاء المُدِلّ

الفقيه الشيخ محمّد تقي الآملي رحمه الله

العُجب نقيضُ العقل، فهو – في الأحايث المروية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام – «مَفْسَدَةٌ لِلعَقْلِ»، و«آفَةُ اللُّبِّ»، بل هو «عُنْوانُ الحَماقَة» و«رَأْسُها»، كما في روايتَين عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي (جامع السعادات) للفقيه الشيخ محمّد مهدي النراقي أنّ «العُجبَ استعظامُ المرء نفسَه لأجل ما يرى لها من صفة كمال، سواء كانت له تلك الصفة في الواقع أم لا، وسواء كانت صفة كمال في نفس الأمر أم لا».

هذا المقال المقتطف بتصرّف يسير من كتاب (مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى) للشيخ محمّد تقي الآملي (ت: ١٣٩١ للهجرة)، يتناول مفهوم «العُجب» – ضمن بحث فقهيّ في بطلان العبادة بالرّياء – من حيث تعريفه، وحُرمته، وبيان أنّ قبحه لا يقتصر على العبادات خاصّة.

نشير إلى أنّ الفقيه الشيخ محمّد تقي الآملي من أبرز تلامذة الفقيه العارف «القدوة» السيّد علي القاضي الطباطبائي، رضوان الله عليهما، وله عدّة مؤلفات في الفقه والأصول والفلسفة.

الكلام في العجب وفي كونه كالرياء وفي الفرق بينه وبين الإدلال والكبر من وجوه:

الأوّل: في تحديده: عُرِّف العجب في علم الأخلاق بأنّه:

١) استعظام النفس بواجديتها ما تراه نعمة ولو لم تكن نعمة واقعاً، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى منعمها.

٢) أو إعظام النعمة والركون إليها مع إضافتها إلى المنعم.

والتعريف الأوّل أولى، وإن قيل برجوع الأخير إليه – كما في (جامع السعادات).

وفي (مصباح الفقيه) للمحقّق الشيخ رضا الهمداني قدس سره، ذهب إلى التعريف الثاني، وردّ على بعض السادة من معاصريه في اعتماده التعريف الأوّل، فقال: «العجب في العبادة عبارة عن إعظام العبادة، وأمّا رؤية الإنسان نفسه عظيمة فهي كبر متولّد من العجب، فما ذكره بعض السادة من المعاصرين: من أنّ العجب بالعبادة أن يجد العامل نفسه عظيمة –بسبب عمله– مبتهجة خارجة عن حدّ التقصير، لا الابتهاج بتوفيق الله تعالى وتأييده لا يخلو عن مسامحة».

وأنت ترى أنّ قول المحقّق الهمداني لا وجه له، وأنّ ما ذكره بعض السادة من معاصريه ذكره أكثر علماء الأخلاق ولا مسامحة فيه أصلاً، بل لعلّ المسامحة فيما أفاده، إذ لا معين له.

وأمّا ما أفاده، قدّس سرّه، بقوله: «وأمّا رؤية الإنسان نفسه عظيمة فهي – إلخ..» ففيه أنّ الكبر كما عرفت يلزمه لحاظ المتكبّر عليه وأرفعيّته عنه، ونفس رؤية الإنسان نفسه عظيمة لا يكون كبراً، إذ يمكن مع تلك الرؤية أن يرى غيره أعظم منه فيخضع عنده، كما لا يخفى.

والإدلال: هو العجب مع توقّع جزاء عليه، فاستعظام النفس بالنعمة عجب، وهو مع توقّع الجزاء عليه إدلال.

والتكبّر: هو العجب مع ملاحظة ترفّعه على المتكبّر عليه، ويلزمه ملاحظة المتكبّر عليه، ومع قطع النظر عن الغير لا يحصل التكبّر، بخلاف العجب.

العُجب في الكتاب والسنّة

الثاني: في ذكر ما ورد في ذمّه في الكتاب والسنّة:

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿..وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف:١٠٤، فإنّه كما يشمل ما إذا كان العجب بحسن عمله مخطئاً في حسنه، كذلك يشمل ما إذا كان مصيباً في حسنه.

وقوله تعالى: ﴿..فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ..﴾ النجم:٣٢، وقوله تعالى: ﴿..مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ الكهف:٣٥، ﴿..وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ الكهف:٣٦، ولعلّ الآية الأخيرة تدلّ على ذمّ الإدلال أيضاً، إذ عدم ظنّه بهلاكه ما في يده كان ناشئاً عن زعمه استحقاق ما في يده ومع استحقاقه لا يسلب منه، ويدلّ عليه: ﴿..وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾.

وبالجملة، فهذا ما اطّلعتُ عليه من الآيات في ذمّ العجب، ولعلّ المتدبّر في القرآن يطّلع على غيرها أيضاً.

ومن السنّة طوائف من الأخبار لا يمكن نقلها كثرة، ونشير إلى بعض منها لئلّا يحتاج الناظر إلى مراجعة سائر الكتب، منها المروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، الْعُجْبَ الْعُجْبَ**».

وعنه في حديث إقبال إبليس على موسى عليه السّلام وعليه برنس ذو ألوان - إلى أن قال موسى عليه السلام: «..**فَأَخْبِرْنِي بِالذَّنْبِ الَّذِي إِذَا أَذْنَبَهُ ابْنُ آدَمَ اسْتَحْوَذْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: إِذَا أَعْجَبَتْهُ نَفْسُه، واسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ، وصَغُرَ فِي عَيْنِهِ ذَنْبُهُ**».

والمروي عن الباقر عليه السّلام في رجلين دخلا المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا منه والعابد فاسق والفاسق صديق - إلى أن قال عليه السلام: «..**وذَلِكَ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْعَابِدُ الْمَسْجِدَ مُدِلاًّ بِعِبَادَتِه يُدِلُّ بِهَا، فَتَكُونُ فِكْرَتُهُ فِي ذَلِكَ..**».

والمروي عن الصادق عليه السّلام، قال: «**العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ مِمَّنْ يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ وَهُوَ لا يَدْري بِمَ يُخْتَمُ لَهُ** - إلى أن قال - **وَالعُجْبُ نَباتٌ حَبُّها الكُفْرُ، وَأَرْضُها النِّفاقُ، وَماؤُها البَغْيُ، وَأَغْصانُها الجَهْلُ، وَوَرَقُها الضَّلالَةُ، وَثَمَرُها اللَّعْنَةُ وَالخُلودُ في النّارِ؛ فَمَنِ اخْتارَ العُجْبَ فَقَدْ بَذَرَ الكُفْرَ وَزَرَعَ النِّفاقَ، وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يُثْمِرَ**».

ومنها المروي عن النبي ﷺ، في حديث داود عليه السّلام - إلى أن قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «..**وأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ أَلَّا يُعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّه لَيْسَ عَبْدٌ أَنْصِبُهُ لِلْحِسَابِ إِلَّا هَلَكَ**».

وعن الصادق عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ عَلِمَ أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ، ولَوْلَا ذَلِكَ مَا ابْتُلِيَ مُؤْمِنٌ بِذَنْبٍ أَبَداً**».

وعنه عليه السّلام: «**مَنْ دَخَلَهُ العُجْبُ هَلَكَ**».

ومنها المروي عن الصادق عليه السلام أيضاً: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَنْدَمُ عَلَيْهِ، وَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيَسُرُّهُ ذَلِكَ فَيَتَرَاخَى عَنْ حَالِهِ تِلْكَ، فَلأَنْ يَكُونَ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ، خَيْرٌ لَهُ مِمَّا دَخَلَ فِيهِ**».

وقال عليه السّلام في حديث إتيان العالم العابدَ - إلى أن قال: «..**فَإِنَّ ضَحِكَكَ وأَنْتَ خَائِفٌ أَفْضَلُ مِنْ بُكَائِكَ وأَنْتَ مُدِلٌّ، إِنَّ الْمُدِلَّ لَا يَصْعَدُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ**».

وسُئل عليه السّلام عن الرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ وهُوَ خَائِفٌ مُشْفِقٌ ثُمَّ يَعْمَلُ شَيْئاً مِنَ الْبِرِّ فَيَدْخُلُهُ شِبْهُ الْعُجْبِ به، فقال عليه السّلام: «**هُوَ فِي حَالِهِ الأُولَى وهُوَ خَائِفٌ، أَحْسَنُ حَالاً مِنْه فِي حَالِ عُجْبِهِ**».

ويدلّ على قبحه من الاعتبار ما لا يخفى على المراجع بكتب الأخلاق.

في حرمة العجب وعدم اختصاص قُبحه بالعبادات

الثالث: الظاهر عدم اختصاص قبح العجب بالعبادات، بل هو قبيح بكلّ ما يراه صفة كمال له، ولو لم يكن كمالاً واقعاً، فيقبح العجب بالمال والجاه والحسب والنسب ونحوها، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد عناية في البيان.

الرابع: في حرمة العجب شرعاً، ففي (مصباح الفقيه) المنع عن حرمته بادّعاء نفي الاختيار عنه وعدم كونه مسبوقاً بالإرادة، وإن كان أشدّ تأثيراً في البعد عن رحمة الله من الحرام كسائر الأخلاق الرذيلة، كحبّ الدنيا ونحوه ممّا هو خارج عن الاختيار - إلى أن قال: «ولأنّ الأخبار الواردة في ذمّه لا يكاد يستفاد منها أزيد من ذلك، فلو تعلّق به خطاب بظاهره يدلّ على ذلك لوجب صرفه، إمّا إلى مباديه من إهمال النفس حتى تتأثّر عن مباديه، وإمّا إلى وجوب إزالته بعد حصوله بالتفكّر في سوء المنقلب»، انتهى بمعناه، وما أفاده، قدّس سرّه، لا يمكن المساعدة عليه.

والحقّ أنّ العجب أمر اختياري، غاية الأمر يكون من المسبّبات التوليدية التي اختياريّته بعين اختياريّة أسبابه، وإنّ تحقّقه بتحقّق مباديه وزواله بزواله، وإذ أمكن إزالته بعد حصوله فيكون وجوب الدفع عنه أيضاً ممكناً، كيف وجميع الأخلاق التي هي متعلّقات للأمر والنهي أيضاً كذلك!.

وبالجملة فمَن أراد الاطّلاع بأزيد من ذلك فليراجع علم الأخلاق، وإنّما الكلام هنا في أنّ الأخبار المتقدّمة هل تدلّ على حرمته شرعاً حتّى يصير المعجب بعمله مرتكباً لمحرّم شرعي، ويكون ارتكابه قادحاً في العدالة، أم لا؟

فنقول: أمّا العجب في غير العبادات كالعجب بالمال والجاه والعقل والعلم والحسب، فلا ينبغي التأمّل في عدم كونه حراماً شرعياً ولم يُحْكَ حرمته عن أحد، وليس في الأخبار المتقدّمة ولا في غيرها ما يمكن أن يتوهّم دلالته على حرمته.

وأمّا في العبادات، فقد عرفت دعوى المحقّق الهمداني، قدّس سرّه، من أنّه لا يظهر منها أزيد من كونه من الأخلاق الرذيلة والمهلكات. لكنّ الإنصاف أنّ الطائفة الأولى منها تدلّ على الحرمة، وأنّه ذنب، بل هو أعظم من الذنب، بل الذنب خير منه، فالأقوى أنّه حرام يعاقب عليه كما يدلّ عليه دليل الاعتبار أيضاً، حيث إنّه ليس للعبد أن يعجب بنعمةٍ، وينسى نسبتها إلى مولاه....

البرزَخ
واسطةٌ بين عالَم المجرّدات وعالَم الماديّات

المحقّق العلّامة السيّد علي خان المدني

تبوّأت «الصحيفة السجّادية» المباركة صدارة النصوص الشريفة المتّصلة بآداب الدعاء، وقد شغلت مكانتها أعمال العلماء والمحقّقين على امتداد قرونٍ خلتْ.

هذه المقالة التي اخترناها من كتاب العلامة السيّد علي خان المدني الشيرازي رحمه الله (رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين)، تقدّم شرحاً لغويّاً ومعنويّاً لمصطلح (البرزخ) الوارد ضمن فقرة من الدعاء الأوّل من أدعية الصحيفة المباركة، وهي قوله عليه السلام: «..وَالْحَمْدُ للهِ عَلى ما عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِه... حَمْداً يُضيءُ لَنا بِهِ ظُلُماتِ الْبَرْزَخِ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْنا بِهِ سَبيلَ الْمَبْعَثِ، وَيُشَرِّفُ بِهِ مَنازِلَنا عِنْدَ مَواقِفِ الأَشْهادِ».

البرزخ في اللّغة: هو الحاجز بين الشّيئَين، وأُطلق على الحالة التي تكون بين الموت والبعث؛ قال تعالى: ﴿..وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون:١٠٠، وهي مدّة مفارقة الرّوح لهذا الجسد المحسوس إلى وقت البعث وعودها إليه، ويُطلق على القبر بهذا الاعتبار.

روى ثقة الإسلام في (الكافي) بإسناده عَنْ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: «قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: إِنِّي سَمِعْتُكَ وأَنْتَ تَقُولُ كُلُّ شِيعَتِنَا فِي الْجَنَّةِ عَلَى مَا كَانَ فِيهِمْ، قَالَ: **صَدَقْتُكَ، كُلُّهُمْ واللهِ فِي الْجَنَّةِ**، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ الذُّنُوبَ كَثِيرَةٌ كِبَارٌ، فَقَالَ: **أَمَّا فِي الْقِيَامَةِ فَكُلُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ الْمُطَاعِ أَوْ وَصِيِّ النَّبِيِّ، ولَكِنِّي، واللهِ، أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ**، قُلْتُ: ومَا الْبَرْزَخُ؟ قَالَ: **الْقَبْرُ مُنْذُ حِينِ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

في معنى «إضاءة» ظلماتِ البَرزخ

الأوّل: في هذه الفقرة من الدّعاء دلالةٌ على بقاء النفوس الناطقة بعد خراب الأبدان، لأنّ الإضاءة المطلوبة ليست إلا للرّوح، وإلّا فالجسم يضمحلّ ويستحيل، وهو مذهب أكثر العقلاء من الملّيين والفلاسفة القائلين بأنّ الرّوح جوهرٌ مجرّدٌ أبديّ لا يعتريه الزّوال، ولا يتطرّق إليه الاختلال، ولم ينكره إلّا شِرذمة قليلون، كالقائلين بأنّ النّفس هي المزاج، أو الدّم، وأمثالهم ممّن لا يُعبأ بهم، ولا يُلتفت إلى أقوالهم، والشّواهد العقليّة والنّقليّة على ذلك أكثر من أن تُحصى، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آل عمران:١٦٩-١٧٠.

الثّاني: «الباء» في قوله عليه السّلام «**يُضِيءُ.. بِه**»، إمّا للسببيّة أو للآلة، ثمّ الظاهر أنّ المراد بالإضاءة به أن يصير الحمدُ جسماً متكيّفاً بالضّوء تُشرق به الظلمات البرزخيّة، كالشّمس المشرقة التي تشرق بضوئها الظلماتُ الزمانيّة، بناءً على ما هو الصحيح من تجسّم الأعمال والاعتقادات في تلك النّشأة، كما دلّ عليه كثير من الأخبار المرويّة عن أرباب العصمة عليهم السّلام؛ فالأعمال الصّالحة والاعتقادات الصّحيحة تظهر صوراً نورانيّة مشرقة يستضيء بنورها أصحابها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم..﴾ الحديد:١٢. وفي الخبر: «إِنَّ العَمَلَ الصَّالِح يُضِيءُ قَبْرَ صَاحِبِهِ كَمَا يُضِيءُ المِصْباحُ الظُّلْمَةَ».

والأعمال السيّئة والاعتقادات الباطلة تظهر صوراً ظلمانيّة كاسفة، يتحيّرُ في ظُلَمها أربابُها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا..﴾ الحديد:١٣. وقال عليه السّلام: «الظُّلَمُ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامَةِ». فيكون المراد بظلمات البرزخ أيضاً الأعمال والاعتقادات المظلمة.

والمراد بإضاءتها حينئذٍ: إمّا محوها وإذهابها، كما قال تعالى: ﴿..إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ..﴾ هود:١١٤، أو تبديلها حسنات، كما قال سبحانه: ﴿..فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ..﴾ الفرقان:٧٠...

الثّالث: قال بعضهم: «لا يبعد أن يُحمَل البرزخ على الوجود في عالم الشّهود، أعني الوجود الحسّي كما يطلق عليه المحقّقون من الصوفيّة؛ فيقولون: الموجودات في غواسق برزخيّة، ووجه الإطلاق أنّهم ارتقوا عن فناء العدم الصرف، وما اتّصلوا بالوجود البحت الأبديّ، ولم يصلوا إلى ساحته فكانوا بينَ بين، وتعدّد الظلمات حينئذٍ باعتبار ظُلمة الإمكان والاحتياج والمادة، وبقيّة آثار ظلمة العدم، إلى غير ذلك».

قال: «وزعمي أنّ حمل كلام المعصوم، عليه السّلام، على هذا الوجه اللّطيف أبهى وأحرى من حمله على المعنى السّابق، ولا سيّما بقرينة ما سيذكره عليه السّلام في الفقرة التي تليه من تسهيل سبيل المبعث الشّامل للقبر، بل هو مساوقٌ له، وفي الفقرة التي بعدها من شرف المنازل الحاصل في يوم المبعث لئلّا يكون فيه شائبةٌ من التكرار» انتهى.

قلتُ: بل هو بعيدٌ جدّاً.

أمّا أوّلاً: فحملُ كلامه عليه السّلام على مصطلح الصوفيّة ممّا لا يقبله العقل السّليم والطبع المستقيم.

وأمّا ثانياً: فلأنّه قد تكرّر في كلامهم، عليهم السّلام، تفسير البرزخ بزمان القبر، كما تقدّم في الحديث السّابق عن الصّادق عليه السّلام. وعنه عليه السّلام أيضاً: «وَاللهِ ما أَخافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا البَرْزَخ، وَأَمّا إِذا صارَ الأَمْرُ إِلَيْنا فَنَحْنُ أَوْلَى بِكُمْ».

وقال عليه السّلام في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا..﴾ غافر:٤٦: «هَذا فِي نَارِ البَرْزَخِ قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ».

فإذا ورد البرزخ في كلامهم عليه السّلام بهذا المعنى، فحملُه على ما لا يُعرَف لغةً وعرفاً شائعاً في نهاية البعد...

«البرزخ» واسطةٌ بين عالَم المجرّدات وعالَم الماديّات، وهو عالمٌ عظيمُ الفسحة، وسكّانه على طبقات متفاوتة في قُبح الصّور وحُسنها

تؤكّد الروايات تجسُّم الأعمال والاعتقادات في البرزخ؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم..﴾

روايات عن صفة أرواح المؤمنين في البرزخ

دلّت الأخبار المنقولة عن الأئمّة الأطهار، صلوات الله وسلامه عليهم أنّ الأرواح بعد مفارقتها الأبدان العنصريّة تتعلّق بأشباح مثاليّة تشابه تلك الأبدان، وهذا التعلُّق يكون في مدّة البرزخ، فتتنعّم أو تتألّم بها إلى أن تقوم السّاعة، فتعود عند ذلك إلى أبدانها كما كانت عليه.

* روى ثقة الإسلام في (الكافي) بإسناده عن أبي بصير، قال: «سألتُ أبا عبد الله عليه السّلام عن أرواح المؤمنين، فقال: **في الجَنَّةِ عَلى صُوَرِ أَبْدانِهِم، لَوْ رَأَيْتَهُمْ لَقُلْتَ فُلانٌ**»...

* وعن يونس بن الظبيان قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السّلام، فَقَالَ: **مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ؟**

فَقُلْتُ: يَقُولُونَ تَكُونُ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ فِي قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: **سُبْحَانَ الله، الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى الله مِنْ أَنْ يَجْعَلَ رُوحَهُ فِي حَوْصَلَةِ طَيْرٍ. يَا يُونُسُ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ أَتَاه مُحَمَّدٌ صلّى اللهُ عَلَيه وَآلِه، وعَلِيٌّ وفَاطِمَةُ والْحَسَنُ والْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، والْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ، فَإِذَا قَبَضَهُ اللهُ، عَزَّ وجَلَّ، صَيَّرَ تِلْكَ الرُّوحَ فِي قَالَبٍ كَقَالَبِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْقَادِمُ عَرَفُوهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا**».

* وعن حبّة العرَني، قال: «خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السّلام إِلَى الظَّهْرِ، فَوَقَفَ بِوَادِي السَّلَامِ كَأَنَّه مُخَاطِبٌ لأَقْوَامٍ. فَقُمْتُ بِقِيَامِه حَتَّى أَعْيَيْتُ، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ حَتَّى نَالَنِي مِثْلُ مَا نَالَنِي أَوَّلاً، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ وجَمَعْتُ رِدَائِي، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ فَرَاحَةَ سَاعَةٍ، ثُمَّ طَرَحْتُ الرِّدَاءَ لِيَجْلِسَ عَلَيْه، فَقَالَ لِي: **يَا حَبَّةُ، إِنْ هُوَ إِلَّا مُحَادَثَةُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤَانَسَتُهُ**.

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ؟ قَالَ: **نَعَمْ، ولَوْ كُشِفَ لَكَ لَرَأَيْتَهُمْ حَلَقاً حَلَقاً مُحْتَبِينَ يَتَحَادَثُونَ**.

فَقُلْتُ: أَجْسَامٌ أَمْ أَرْوَاحٌ؟ فَقَالَ: **أَرْوَاحٌ، ومَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ فِي بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الأَرْضِ إِلَّا قِيلَ لِرُوحِه الْحَقِي بِوَادِي السَّلَامِ، وإِنَّهَا لَبُقْعَةٌ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ**»...

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدّا.

«البرزخ» واسطة بين عالَمَين

قال العلّامة البهائي العامليّ قدس سره: «ما تضمّنته هذه الأحاديث من أنّ الأشباح التي تتعلّق بها النّفوس ما دامت في عالم البرزخ ليست بأجسام، وأنّهم يأكلون ويشربون ويجلسون حلقاً حلقاً على صوَر أجسادهم العنصريّة يتحدّثون ويتنعّمون، وأنّهم ربّما يكونون في الهواء بين الأرض والسّماء يتعارفون في الجوّ ويتلاقون ونحو ذلك ممّا يدلّ على نفي الجسميّة وإثبات بعض لوازمها، يُعطي أنّ تلك الأشباح ليست في كثافة المادّيات، ولا في لطافة المجرّدات، بل هي ذوات جهتَين وواسطة بين العالَمَين، وهذا يؤيّد ما قاله طائفة من أساطين الحكماء: من أنّ في هذا الوجود عالماً مقداريّاً غير العالم الحسّي، هو واسطةٌ بين عالم المجرّدات وعالم الماديّات؛ ليس في تلك اللطافة ولا في هذه الكثافة. فيه للأجسام والأعراض من الحركات والسّكَنات والأصوات والطعوم وغيرها، مُثُل قائمة بذواتها معلّقة لا في مادّة، وهو عالمٌ عظيمُ الفسحة، وسكّانه على طبقات متفاوتة في اللّطافة والكثافة وقُبح الصّور وحُسنها، ولأبدانهم المثاليّة جميع الحواسّ الظاهرة والباطنة، فيتنعّمون ويتألّمون باللّذات والآلام النفسانيّة والجسمانيّة».

وقد نسب العلّامة [من تلامذة المحقّق الطوسي] في (شرح حكمة الإشراق)، القول بوجود هذا العالم إلى الأنبياء والأولياء والمتألّهين، وهو وإن لم يَقُم على وجوده شيءٌ من البراهين العقليّة، لكنّه قد تأيّد بالظواهر النّقليّة، وعرّفه المتألّهون بمجاهداتهم الذّوقيّة، وتحقّقوه بمشاهداتهم الكشفيّة، وأنت تعلم أنّ أرباب الأرصاد الروحانيّة أعلى قدراً وأرفع شأناً من أصحاب الأرصاد الجسمانيّة، فكما إنّك تصدّق هؤلاء فيما يُلقونه إليك من خفايا الهيئات الفلكيّة، فحقيقٌ أن تصدّق أولئك أيضاً فيما يتلونه عليك من خبايا العوالم القُدسيّة الملكيّة.